دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في العمل الخيري في العصر الأُمَوِي

The role of Andalusian women in charitable activities in the Umayyad period

حصة بنت عبدالله العمر

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

Hossah Abdullah Alomar
Assistant Professor of Islamic History, Department of History, Faculty of Arts, University of Princess Nourah Bint AbdulRahman

ملخص الدراسة:

ساهمت المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة بنصيب وافر في العمل الخيري بكافة أشكاله وأنواعه من نشاط دعوي لخدمة الدين الإسلامي، إلى بناء المساجد ونشر التعليم، ونسخ المصاحف الشريفة وغيرها من الكتب الدينية والعلمية، والاهتمام بالمرضى ومساعدة الفقراء والأيتام، وكما وجهن نشاطهن الخيري داخل مجتمعهن الكبير، كذلك أيضاً كان اهتمامهن الأول داخل أسرهن ورعاية أبنائهن.

وقد شمل ذلك العمل الخيري نساء الخلفاء والجواري والعالمات و غيرهن. و نتج عنه أن نبغ عدد كبير من النساء المهتمات بالعمل الخيري في بلاد الأندلس، مما كان له أثره الواضح في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، و النهوض بالمجتمع وتطوره وخدمة الإنسانية وبناء الحضارة الإسلامية.

Study summary:

Andalusian women contributed share galore in charity work in all its forms and types of lawsuit Activity to serve the Islamic religion, to build mosques , spread education, copy the Holy Quran and other religious and scientific books, and care for the sick and helping the poor and orphans, and as directing by the activism charity inside their large community, as well as was their interest first to their families and care for their children.

This has included the charitable women caliphs , maids work, scientists and others. And as resulted we excelled that large number of interested women in charity work at Andalusia, which has had a clear impact in the social, cultural and economic life, and the advancement of society and its development, humanitarian service and build the Islamic civilization.

دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في العمل الخيري في العصر الأُمَوِي

مُقَدِّمَة:

يعمل هذا البحث على معالجة العمل الخيري للمَرْأَة في الأَنْدَلُس خلال العصر الأُمَوِي، وهي صفحة نادرة من تاريخ المَرْأَة في الأَنْدَلُس لم تأخذ حقها من البحث والتنقيب؛ فكان هدف البحث هو عمل دراسة وافية عن دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في العمل الخيري لأن هناك حاجة ملحة إلى المزيد من إسهامات المَرْأَة الحضارية في الأَنْدَلُس تدل عليه كتب التاريخ والتراجم الأَنْدَلُسيّة.

لقد ساهمت المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة مساهمة فعالة في العمل الخيري وارتبط ذكر عدد لا بأس به من النساء الأَنْدَلُسيات بالعمل الخيري وتحدثت المصادر عن جوانب مختلفة من ذلك العمل الخيري مثل نشر الدعوة الإسلامية وبناء المساجد ونشر التعليم، ومساعدة الفقراء والأيتام. وقد شمل ذلك العمل الخيري نساء الخلفاء والجواري والعالمات وغيرهن ممن سوف نتناولهن في تلك الدراسة.

وقد نتج عن ذلك أن نبغ في الأَنْدَلُس عدد كبير من النساء المهتمات بالعمل الخيري، وكان لهن أثر واضح في الحياة الاجتماعية

والثقافية والاقتصادية في الأَنْدَلُس، وقد تواترت تراجم النساء في ذكر أسماء عديد من النساء اللواتي ساهمن في العمل الخيري بنصيب وافر.

مشكلة الدراسة:

من الصعوبات التي واجهتني في البحث قلة المادة العلمية وتناثرها التي تتحدث عن المَرْأَة في الأَنْدَلُس بالمقارنة لتراجم الرجال بطبيعة الحال؛ بالإضافة إلى ذلك وجدت أن أغلبها مجرد تراجم عامة نادرة المعلومات ومختصرة للغاية مما أدى إلى التنقيب في كافة المصادر المتاحة لاستخراج معلومة مدفونة هنا أو هناك أو قراءة ما بين السطور أحياناً.

كما واجهتني مشكلة ندرة المصادر التي تحدثت عن المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة بصفة عامة وخصصت جانبا للعمل الخيري التي قامت به في الأَنْدَلُس وهذا ما يواجه كافة الباحثين عند تناول موضوعاً يطرق لأول مرة.

أهداف الدراسة:

١- إلقاء الضوء على دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في العمل الخيري خلال العصر الأُمَوِي، وإبراز دورها في نشر الدعوة الإسلامية وبناء

المساجد ونشر التعليم، ومساعدة الفقراء والأيتام ثم تتبع تأثيرها داخل المنزل والأسرة.

٢- إلقاء الضوء على كنوز حضارتنا الإسلامية التي تحترم المَرْأَة وتعطيها حقها في أروع صورة سبقت دساتير العالم أجمع.

٣- إبراز دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في محاولاتها للمساهمة في نشر الحضارة الإسلامية عن طريق كتابة ونسخ القرآن الكريم وغيره من الكتب الدينية والعلمية للمحافظة منها على الثقافة والتراث الإسلامي.

٤- إظهار أن مشاركة المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة فى العمل الخيري امتد إلى مهنة التعليم ورواية الحديث والعلوم الأخرى ولم تكن المسألة مقصورة على الرجال فقط.

خطة الدراسة:

قسمت البحث إلى تمهيد، وستة مباحث، ثم نتائج واستنتاجات الدراسة؛ وثبت المصادر و المراجع. تناول التمهيد دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في العمل الخيري وكيف كان للمَرْأَة الأَنْدَلُسيّة حضور قوى في كثير من ضروب الحياة في ذلك الوقت. ولم تكن منزوية على نفسها في المجتمع ولعبت دوراً رئيساً فيه.

وخصصت المبحث الأَوَّل: لدراسة دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في نشر مبادئ الدعوة الإسلامية، والتي أكدت على تميز واضح لدور المَرْأَة في تلك الفترة في المجال الخيري.

أما المبحث الثاني فتناول: " دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في بناء المساجد" حيث ساهمت المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في بناء عدد من المساجد لإيمانها بالدور الديني والعلمي والتعليمي والخيري للمسجد.

أما المبحث الثالث، فقد خُصِص لدراسة: " دور المَرْأَة في نسخ المصاحف" حيث عملت مئات منهن فى نسخ القرآن الكريم، والكتب الدينية والأدعية.

وجاء المبحث الرابع ليناقش: " دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في نشر التعليم ورواية الحديث والعلوم الأخرى " أما المبحث الخامس فتناول :" الاهتمام بالمرضى ومساعدة الفقراء والأيتام وعتق الرقبة وبناء مقابر الصدقات" ثم جاء المبحث السادس والأخير بعنوان " دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في بناء الأسرة والمجتمع".

وأخيراً ضمنت خاتمة الدراسة النتائج التي توصلت إليها الباحثة، واختتم البحث بثبت المصادر و المراجع التي أعانتني في إنجاز الدراسة.

المنهج المتبع للدراسة:

اتبعت عددا من المناهج في الدراسة؛ منها المنهج التاريخي والمنهج الوصفي والتحليلي حسب فقرات البحث وتوفر المادة العلمية؛ وقد استخدمت المنهج العلمي من حيث التحليل والربط والاستنتاج من خلال بعض الروايات الواردة في المصادر المختلفة.

تمهيد: دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في العمل الخيري.

اشتهر أهل الأندلس بعمل الخير في جميع أعماله و أشكاله وقد حوت الكتب التاريخية وكتب التراجم عدد هائل من تراجم الرجال ممن كان لهم السبق في القيام بالأعمال الخيرية سواء من حكام أو أمراء أو علماء وفقهاء أو حتى من عامة الناس. فلو تتبعنا تراجم الرجال فإننا سنرى عبارة: " كثير الخير" [1]، ترد في أغلب تراجمهم مما يدل على حبهم لعمل الخير بكافة أنواعه. وكما كانت

([1])انظر على سبيل المثال: ابن الفرضي،أبي الوليد عبدالله بن محمد، **تاريخ علماء الأندلس**،تحقيق السيد عزت العطار، القاهرة، مكتبة الخانجي،١٩٨٨م، ج ١، ص ٢٧٨، ٣٣٢، ٣٥٨، ج ٢، ص ١٤، ٥٥، ١٥٢؛ابن بشكوال، أبي القاسم خلف بن عبدالملك ، **الصلة**، تحقيق السيد عزت العطار، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥م، ج ١، ص ١٣ ، ١٨، ١٩، ٩٤؛ ابن الأبار،أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر، **التكملة لكتاب الصلة**،تحقيق عبدالسلام الهراس، الدار البيضاء،دار المعرفة، د ت، ج١، ص ١٦، ٦٩، ج ٤، ص ١٢٨

هذه النماذج الفذة كثيرة عند الرجال في بلاد الأندلس، فكذلك كانت لدى النساء.

فقد كان للمَرْأَة الأَنْدَلُسيّة حضور قوي في كثير من ضروب الحياة في ذلك الوقت. ولم تكن مترويةعلى نفسها في المجتمع ولعبت دوراً رئيساً فيه(١)؛ فشاركت المَرْأَة الأندلسية في الأعمال الخيرية، وفرض عددا منهن وجودهن فرضاً على مواكب فعل الخيرات في الأَنْدَلُس، تدلل على أن المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة لم تكن تقل عطاءاً وإبداعاً في هذا الميدان عن الرجال(٢)، لذا يعد الدور الذي قامت به المَرْأَة في مجال العمل الخيري، أحد الجوانب المشرقة في تاريخ الحياة العربية الإسلامية في الأَنْدَلُس.

فهذا هو ابن حزم الأندلسي الذي نشأ وترعرع في كنف النساء يصف لنا بعض الجوانب الخيرية المشرّفة في تاريخ المرأة الأندلسية بقوله: " ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن مالا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب

(١)هنري بيرس: **الشعر الأَنْدَلُسي في عصر الطوائف**، ترجمة الطاهر مكي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٠م، ص ٣٤٧.

(2)Schack,Federico: **Poesia y Arte de Los Arabes en Espana Y Sicilia**. Traduccion de Juan Valera Mexicco, 1944,p.62.

وحين تبقل وجهي، وهن علمنني القرآن وروينني كثيراً من الأشعار ودربنني في الخط ،"[١]

وكان فيهن المحدثة والطبيبة والحجامة والدلالة والمشاطة والمعلمة والعاملة في النسيج. [٢]

وكانت تلك الأعمال التي تقوم بها تلك المرأة الأندلسية لها دور كبير في النهوض بالمجتمع وتطوره وخدمة الإنسانية وبناء الحضارة الإسلامية.

ولابد أن نؤكد على أنَّ المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة جارية أو حرَّة، أسهَمتْ في هذا النَّشاط الخيري في مختلف عُصور الحكم الإسلامي للأندلس، وكانت مساهمتها فاعلةً، ولو لقيت عنايةً أكبر من قِبَلِ الباحثين، لربما كانت أضعاف مضاعفة. ناهيك عن عدد كبير من كتب التراث لم تصلنا.

وآمل من خلال هذا الجهد المتواضع أن أكون قد أعطيت صورة عن دور المرأة الأندلسية في هذه الحقبة التي لم تحظ كثيراً باهتمام المتخصصين والباحثين.

([١])ابن حزم،علي بن أحمد، **رسائل ابن حزم (طوق الحمامة في الألفة والألاف)**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧م،ج١ ص١٦٦.

([٢])ابن حزم، **رسائل ابن حزم**، ج١ ص ١٤٢.

المبحث الأول: دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في نشر مبادئ الدعوة الإسلامية.

ارتبط ذكر عدد لا بأس به من النساء الأَنْدَلُسيات بالصلاح والزهد والأعمال الخيرية، وقد ساهمت المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في مواكب فعل الخيرات وبرز في مجال الدعوة ونشرها عدداً من النساء الداعيات والفقيهات وقد تحدثت المصادر عنهن و منهن: فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامي، أخت الفقيه يوسف بن يحيى(١)، وهي من النساء الأَنْدَلُسيات الفاضلات ذكرتها عدد من الكتب التاريخية نظراً لما قامت به من خدمة الدعوة الإسلامية، فكانت من النابغات المتألقات خيرة فاضلة، عالمة فقيهة ورعة ساهمت في فعل الخيرات، عاشت بقرطبة وتوفيت بها سنة ٣١٩هـ، في عصر الخليفة الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠ه). ودفنت بالربض، ولم ير على نعش امرأة من المصلين ما رئي على نعشها(٢). وبطبيعة الحال تدل جنازتها على كثرة المريدين والتابعين وأنها كانت من السابقات إلى الخيرات.

---

(١)هو أبو عمر يوسف بن يحي وسعيد بن حسان . ابن الزبير، جعفر أحمد بن إبراهيم، **صلة الصِّلَة**، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان ١٩٩٥م، ج٥ ص٣٠٥.

(٢) ابن بشكوال،**الصِّلَة** ، ج٢ص ٦٩١؛ الضبى، أبي جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م، ج٢ص٧٣٣.

ومن داعيات الأَنْدَلُس الخيرات اللاتي لهن دور هام وتحظى بمكانة عالية في مجتمعها: نظيرة أم الحسن أخت القاضي منذر بن سعيد البلوطي (٢٧٣-٣٥٥هـ)، عاشت بفحص البلوط بلدهم، واشتهرت بتقواها وورعها وفاضلها، متعبدة في مسجد لها مجاور لبيتها، وكانت نساء الخاصة والعامة يأتين إليها من كل مكان للذكر والتفقه في الدين ودراسة سير العابدين.(١)

ومن دائرة الزاهدات الداعيات للخير أيضا: البهاء بنت الأمير عبدالرحمن بن الحكم بن هشام (٢٠٦-٢٣٨هـ) (ت ٣٠٥هـ) التي كانت من خيرة نساء بني أمية من أهل الزهد والعبادة والتبتل وكان لها رغبة في الفضل والخير.(٢)

وهناك أيضا من الداعيات أمة الرحمن بنت أحمد بن عبد الرحمن العبسي(ت ٤٤٠هـ)، ذكرت المصادر أنها عالمة فاضلة صوامة قوامة، تدعو للخير، ولم تقتصر في دعوتها وبث علمها للنساء فقط،

(١)ابن الأَبَّار، **التَّكملة**، ج٤ ص ٢٤٥.

(٢)ابن الأَبَّار، **التَّكملة**، ج٤ ص ٢٤٣؛ ابن عبدالملك، أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٨٤م، السفر الثامن ج٢ص٤٨٤.

بل سمع عنها أبو محمد بن خزرج بعضاً مما روته عن أبيها، لم تتزوج قط حتى توفيت وسنها تناهز الثمانين(١).

وكانت بركَة مُعتقة ابْن القسام الْفَقِيه كَاتب القَاضِي أسلم بن عبد الْعَزِيز امْرَأَة صَالِحَة خيرة تحب الخير وتسعى إليه(٢).

ومن صوالح النساء الخيرات أَسمَاء بنت غَالب مولى النَّاصِر عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد (ت ٣٧١ه) تزَوجهَا الْمَنْصُور بن أَبِي عَامر (٣٢٧-٣٩٢ه) فِي أول أمره، وهي مثال للمرأة الأندلسية المؤمنة الخيرة الصابرة، ومما يدلل على ذلك ما ذكره عنها الأبار بقوله: " وَكَانَت عفيفة أريبة أديبة، ذَات جمال بارع وأدب صَالح، وَلما خَالف غَالب أَبوهَا وظفر بِهِ الْمَنْصُور فِي قصَّة طَوِيلَة امتحنها بِأَن أَمر بعرْض رَأس أَبِيهَا عَلَيْهَا إذا أنفذه إِلَى قرطبة، فَقَالَت: الْحَمد لله الَّذِي أراحك وَحكم لمولاك، أما لَوْلَا طَاعَة الإِمَام الْمولى وَحقّ الزَّوْج المطاع لقضيت للحزن عَلَيْك أوطارا، وَإِنِّي بالحزن لَك لأولي مني بالحزن عَلَيْك، عَليّ بِمَاء الْورْد وَالطّيب فَهَذَا آخر الْعَهْد ببر الْأَب، فغسلت وَجهه ورجلت شعره وَنَثَرت عَلَيْهِ مسكا كثيرا وأسلمته إلى الرَّسُول. "(٣)

---

(١) ابن بشكوال، **الصِّلَة**، ج٢، ص ٦٣٣.

(٢)ابن الأَبَّار، **التَّكملة**، ج٤ ص ٢٤٨.

(٣)**التَّكملة**، ج٤ ص ٢٤٨؛ ابن عبدالملك، **الذيل والتكملة**، س٨ج٢ص٤٧٩.

ومن النساء الصالحات المشهورات بالتفسير والفقه عَتيق الأقوبية وكَانَت امْرَأَة صَالِحَة، وكذلك ابْنة فائز الْقُرْطُبِيّ (ت ٥٤٤٦) زوج أبي عبد الله بن عتاب اشهرت بِحِفْظ الْعلم وَالْأَدب ودرست علم التَّفْسِير واللغة والعربية وَالشعر والْفِقْه وَالرَّقَائِق، وَخرجت من قرطبة إِلَى دانية في رحلة علمية للقاء العلماء والتفقه في دينها وكانت من اللواتي يسعين لعمل الخير. توفيت و هي في طريق عودتها من حجها إلى الأندلس. (١)

ومن الفقيهات الداعيات أَسمَاء بنت أبي دَاوُد سُلَيْمَان بن نجاح المقرئ من أهل بلنسية لم تبخل بعلمها وأفادت من حولها فقد روت كثيراً عن أبيها ما تعلمته منه حتى أعجب بها أحد تلاميذ أبيها وزوجها له. (٢)

ومن العابدات الصالحات صَوَاب زوج أبي إِسْحَاق بن إِسْمَاعِيل القبري الزَّاهِد رحلت مَعَه إِلَى الْمشرق وأديا فَرِيضَة الْحَج وعادا إِلَى الأَنْدَلُس واستمرت هي وزوجها في الدعوة والاجتهاد وطلب العلم على أفضل مما كانا عليه حتى توفيا.(٣)

---

(١)ابن الأَبَّار، **التَّكملة**، ج٤ ص ٢٥١.

(٢)ابن الأَبَّار، **التَّكملة**، ج٤ ص ٢٥٤؛ ابن عبدالملك، **الذيل والتكملة**، س٨ ج٢ص٤٧٨.

(٣)ابن الأَبَّار، **التَّكملة**، ج٤ ص ٢٥٤.

أما أم الْحسن بنت أبي لِوَاء سُلَيْمَان بْن أصبغ بْن عَبْد اللَّه بن وانسوس، كانت امْرَأَة صَالِحَة زاهدة فاضلة عَاقِلَة ، رحلت لإداء فريضة الحج واشتهرت بطلب العلم وحب الخير للناس الذي ورثته من جدها. (١)

كما اشتهرت عائلات كاملة بالعمل الخيري ونشر الدعوة منهم نساء بني وانسوس،(٢) حيث قال ابن الأبار نقلاً عن الرازي: " كان لبني وانسوس نساء متقدمات في الخير، والفضل، والورع، والنسك، حج منهن ست نسوة، وهن: أم الحسن بنت أبي لواء، وكليبة زوج أصبغ بن عبد الله بن وانسوس وأمة الرحمن، وأمة الرحيم ابنتا أصبغ هذا، ورقية ابنة محمد بن أصبغ، وعائشة ابنة عمر بن محمد بن أصبغ ."(٣)

وامتد الأمر ليصل إلى الجواري في الأَنْدَلُس فنجد أن هناك عدد منهن اشتهرن بعمل الخير وملازمتهن للإحسان حتى اتصفن بهذه الصفة فهذه مصابيح جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قبليل،

---

(١)ابن الأَبَّار، **التَّكملة**، ج٤ ص ٢٤٤؛ ابن عبدالملك، **الذيل والتكملة**، س٨ج٢ص٤٨١.

(٢) وهم من قبائل مكناسة البربرية المغربية، ثم هاجروا إلى الأندلس. ابن حزم، علي بن أحمد، **جمهرة أنساب العرب**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م، ج١ ص٤٩٩.

(٣) **التَّكملة**، ج٤ ص ٢٤٤.

اشتهرت بإحسانها للناس ونبل أخلاقها.[١] و كانت جؤذر من الْقَيْنَات المحسنات بقرطبة وهي جَارِيَة ابْن الْعَجُوز[٢]، وكذلك كانت الجارية مرجان لطيفة المقاصد تقضي حاجات من يقصدها.[٣]

وهكذا يتضح لنا من خلال هذا العرض دور ودعم المرأة الأندلسية للعمل الخيري في نشر مبادئ الدعوة الإسلامية بالتزامها بدينها والتفقه فيه وطلب العلم والتفاني في دعوة بني جنسها إلى ذلك، والتحلي بالصفات الإسلامية الحسنة من الزهد والصلاح والإحسان ونبل الأخلاق مما كان له أثره الواضح في مجتمعها.

(١)ابن الأَبَّار، **التَّكملة**، ج٤ ص ٢٤٣.

(٢)ابن الأَبَّار، **التَّكملة**، ج ٤ ص ٢٤٦.

(٣)ابن الأَبَّار، **التَّكملة**، ج٤ ص ٢٤٦؛ ابن حيان، **المقتبس** الجزء الخامس، نشره ب شالميتا، حققه ف كورينطي، م صبح، مدريد، المعهد الأسباني العربي للثقافة، ١٩٨٩م، ص ١٣-١٤.

المبحث الثاني: دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في بناء المساجد.

المسجد في الإسلام ليس فقط مكاناً للعبادة، بل إن له إلى جانب ذلك دوراً بالغ الأهمية، في التنشئة الثقافية، والفكرية، والعلمية، والتقدم المعرفي، إضافة إلى كونه مصدر إشعاع تربوي واجتماعي.

وقد ساهمت المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في بناء عدد من المساجد لإيمانها بالدور الديني والعلمي والتعليمي والخيري للمسجد فمِنَ المسجد تشع الثقافة الإسلامية الأصيلة، ويُعزَّز التقدم المعرفي، وينبعث الوعي الديني، ويُعرَف الحلال والحرام وفيه تُعرَف فضائل الإسلام وآدابه وأحكامه، ويجد المسلم القدوة الحسنة، ويحاكي الصالحين الأبرار، وتبارت النساء فى بناء التى سميت بأسمائهن، تقرباً إلى الله تعالى. (١)

لذا كان المسجد موضعَ الاهتمام من المَرْأَة الأَنْدَلُسية، وبالأخص نساء البلاط الأموي اللاتي خصصن جزء من أموالهن

(١) محمد عبدالله عنان، **دولة الإسلام فى الأندلس**، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٩٧م، ج١ ص٢٧٩.

في بناء المساجد ورعايتها. فهذا مسجد عجب جارية الحكم بن هشام بن عبدالرحمن (١٨٠-٢٠٦ه) الذي يقع في الربض الغربي من قرطبة، وكذلك مسجد متعة أم ولده سعيد بن الحكم الذي يقع أيضاً غربي قرطبة.[١]

وكما أشار ابن حيان القرطبي (ت ٤٦٩ هـ) إلى نماذج من اسهامات نساء البلاط الأُمَوِي وإقدامهن على بناء المساجد، فقد نقل عن الرازي قوله: "وفي أيام الأمير عبد الرحمن ابتنيت المساجد الجامعة بكور الأَنْدَلُس واستوسعت فيها إقامة الجمع ورفع الأدعية، وتناغى كبار حظاياه، وتنافس جواريه، ومقصورات نسائه في ابتناء المساجد الرفيعة بقرطبة، وكان فيهن يومئذ خير كثير، تبارين به في الأعمال الصالحة. وتوسعن بالإنفاق في أبواب الزلفة واكتملت بأرض قرطبة وقصبتها من رفعهن مساجد مشيدة البناء، واجبة الأوقات، آهلة القطين، طالت عمارتها بذكر الله تعالى حقبة، منسوبة إليهن، متعرفة

(١) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، **السفر الثاني من كتاب المقتبس**، تحقيق محمود علي مكي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،٢٠٠٣م، ص ١٨٨.

بأسمائهن كمسجد طروب، ومسجد فخر، ومسجد الشفاء، ومسجد متعة وأشباههن بما يكثر عددده ولا يجهل مكانه"[١].

وأصبح لبعض هؤلاء النسوة الفضليات مكانة في نفوس عامة الناس مثل البهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم التي توفيت سنة ٣٠٥، و "لم يتخلف أحد عن جنازتها"[٢] وإليها ينسب مسجد البهاء من مساجد ربض الرصافة[٣].

ويبدو أن ظاهرة الاهتمام بالعمل الخيري شاعت لدى نساء البلاط الأموي، حيث ابتنت كلاً من أم سلمة وغزلان زوجتا الأمير محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨-٢٧٣ه)، مسجداً ينسب إليهما في قرطبة. [٤]

(١)ابن حيان، **السفر الثاني من كتاب المقتبس**، ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٢)ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد، **البَيَان المُغرِب في أخبار الأَنْدَلُس والْمَغْرِب**، بيروت، دار صادر، ١٩٥٠ م، ج٢ص١٧١.

(٣)ابن الأَبَّار، **التَّكملة**، ج٤ ص ٢٤٣ .

(٤) الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م، ج٢ ص٦٣٤؛ابن بشكوال، **الصِّلَة**، ج١ ص٦٧.

وكذلك ما قامت به مرجان ابن حظية الخليفة عبدالرحمن الناصر، التي بنت عدة مساجد، كان من أشهرها المسجد الأكبر المنسوب إلى السيدة بالربض الغربي من قرطبة، وكان أوسع مساجد قرطبة وأحسنها بناءً. (١)

كما تشير المصادر إلى أن الزهراء جارية الخليفة الناصر هى التى أشارت إليه ببناء مدينة الزهراء بما فيها من مساجد، وخاصة مسجدها الجامع الذى تم بناؤه فى ثمانية وأربعين يوماً، وسماها باسمها. (٢)

ولم يقتصر بناء المساجد على نساء البلاط الأموي بل تعداه إلى جواري العامة فهذا مسجد شعاع ينسب إلى شُعَاع جَارِيَة قَاسم بن أصبغ البياتي مَوْلَاهَا وَكَانَت من صوالح النِّسَاء وإليها ينْسب الْمَسْجِد الَّذِي بربض الرصافة من قرطبة.(٣)

---

(١))ابن حيان، **المقتبس** الجزء الخامس، ص ١٣-١٤.

(٢)) المقري، أحمد بن محمد التلمساني، **نَفْح الطِّيب من غصن الأَنْدَلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار صادر ١٩٩٧م، ج١ ص٥٢٣، محمد عبدالله عنان، **دولة الإسلام فى الأندلس**، ج١ ص٤٣٦.

(٣)ابن الأَبَّار، **التَّكملة**، ج٤ ص ٢٤٨؛ ابن عبدالملك، **الذيل والتكملة**، س٨ ج٢ص٤٨٨.

وجدير بالذكر أن صاحبات هذه المساجد أولينها اهتماماً بالغاً من ناحية الصرف على هذه المساجد، ورصد الأوقاف والأحباس لها، وخدمتها بما يليق بها. [١]

وهكذا نلاحظ تسابق النساء ومبادراتهن إلى الأعمال الخيرية وبذل أموالهن وما تجود به أيديهن في بناء المساجد وتعميرها ورعايتها طلباً للأجر والمثوبة من الله تعالى.

(١) ابن حيان، **السفر الثاني من كتاب المقتبس**، ص١٨٨، ٢٨٧-٢٨٨، ٣٠٤؛ ج٥ ص١٤.

المبحث الثالث: دور المَرْأَة في نسخ المصاحف.

تنوعت الأعمال الخيرية للنساء في الأَنْدَلُس ومنها التقرب إلى الله بالمشاركة في نسخ المصحف الشريف ونافسن الكثير من الرجال من مشاهير الخطاطين ونساخ القرآن الكريم، وبذلك أسهمت المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في خدمة كبيرة للقرآن الكريم، وذلك بضلوعها في نسخه وزخرفة صفحاته.

فكان في قرطبة وأحيائها المختلفة عدد كبير من النساء الخطاطات البارعات اللاتي يكتبن المصاحف بالخط الكوفي الجميل. (١)

وذاعت شهرة بعضهن في هذا العمل الخيري فكان منهن: البهاء بنت الأمير عبدالرحمن بن الحكم بن هشام (ت ٣٠٥هـ)، من خيرة نساء بني أمية المجتهدات في عمل الخير تكتب المصاحف

(١)المراكشى، عبد الواحد بن علي، **المُعْجِب فى تلخيص أهل المغرب**، تحقيق، سعيد العريان، القاهرة، لجنة إحياء التراث، ١٩٤٩م، ص ٣٧٢؛ ليفي بروفنسال، **الحضارة العربية في إسبانيا**، ترجمة الطاهر مكي، القاهرة، دار المعارف،١٩٩٤م، ص ٩٠؛ سعد عبد الله البشري، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأَنْدَلُس**، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٧م، ص ١٣٣.

بخط يدها وعند الانتهاء من كتابتها توقفها أو تحبسها على المساجد لوجه الله.[١]

وكانت مزنة (ت٥٣٥٨) من كاتبات الخليفة الناصر لدين الله، و من أشهر نساخ المصحف الشريف والخط العربي.[٢]

كما ذاعت شهرة لبنى كاتبة الحكم المستنصر في قصور خلفاء الأَنْدَلُس فقد كانت مشاركة في العلم مباشرة للأدب والعلم بنبل أخلاقها، وقد أبدعت في نسخ المصحف وفن الخط، وكانت حاذقة بالكتابة، نحوية شاعرة بصيرة بالحساب، مشاركة في العلم، وكانت عروضية حسنة الخط جداً، توفيت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة[٣].

---

(١)ابن الأبار، **التكملة**، ج٤ ص ٢٤٣.

(٢)ابن بشكوال، **الصلة**، ج٢ ص ٦٩٢؛ابن الأبار، **التكملة**، ج٤ ص ٢٤٧؛الضبى، **بغية الملتمس**،ج٢ ص٧٣٢؛ محمد زكريا عنانى، **تاريخ الأدب الأندلسي**، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٩م، ص٤٩.

(٣)ابن بشكوال، **الصلة**، ج٢ ص ٦٩٢؛ابن الأبار، **التكملة**، ج٤ ص ٢٤٧، الضبى، **بغية الملتمس**، ج١ ص٧٣٢؛ محمد زكريا عنانى، **تاريخ الأدب الأندلسي**، الاسكندرية، ص٤٩.

ومن النساء الخطاطات عائشة بنت أحمد القرطبية، (ت ٥٤٠٠) التي كتب القرآن الكريم بخط يدها الجميل، فعلت ذلك تقربا إلى الله لارتباط ذلك العمل ارتباطاً وثيقاً بالنص القرآني المقدس، وتدوينه ولكونه الوسيلة التي حفظت القرآن الكريم.(١) كما اشتهرت كذلك بجمع الكتب والدفاتر وكتابتها، وكانت لها مكتبة كبيرة حسنة، وعرف عنها حبها لعمل الخير والمرؤة، ولها غنى وثروة تساعدها على فعل ذلك.(٢)

وكذلك كانت فاطمة بنت زكريا بن عبدالله (ت ٥٤٢٧)، خطاطة ماهرة، عاشت أربع وتسعين سنة كتبت فيها الكتب الطوال بخط يدها واستمرت كذلك حتى توفيت. (٣)

وكان هناك عدد كبير من الجواري ونساء العامة الخطاطات تميزن بخطوطهن الجميلة، وتنافسن في ذلك حتى أن صفية بنت عبدالله الريّيّ (ت ٤١٧هـ) الشاعرة الخطاطة والموصوفة بجمال خطها قد عابت عليها امرأة أخرى خطها وردت عليها قائلة:

---

(1)Nykl (B.A.R) **Hispano Arabic Poetry**. Baltimore. 1946.p64.

(٣) ابن بشكوال، **الصلة**، ج٢ ص ٦٩٣.

(٣) بن بشكوال، **الصلة**، ج٢ ص ٦٩٤.

" وعائبة خطي فقلت لها اقصري فسوف أريك الدر في نظم أسطري

ونـاديت كفى كي تجـود بخطها وقربت أقلامي ورقي ومحبري فخطت بأبيات ثُلاث نظمتـها ليبدو بها خطي فقلت لها انظري." (١)

ومن ذلك حرصت النساء في بلاد الأندلس على اتقان الخط وجودته، فهذه: قلم جارية الأمير عبدالرحمن بن الحكم وأم ابنه أبان أبي الوليد كانت أديبة ذاكرة حسنة الخط[٢]، ورقية بنت الوزير تمام بن عامر بن علقمة، كانت حسنة الخط تكتب لابنة الأمير المنذر بن محمد (ت٢٧٣-٢٧٥ه). [٣] وكما كانت زمرد (ت٣٣٦ه) كاتبة حاذقة أيضاً. [٤] وكذلك كانت كلا من كتمان الكاتبة ونظام الكاتبة من جواري قصر الخلافة اللاتي تميزن بجمال الخط واتقانه. [٥]

---

(١) الحميدي، **جذوة المقتبس** ، ج٢ص ٦٥٠؛ الضبى، **بغية الملتمس** ، ج٢ ص٧٢٩؛ ابن بشكوال، **الصلة**، ج٢ص ٦٩٣.

(٢) ابن الأبار، **التكملة**،ج٤ص٢٤١.

(٣) ابن الأبار، **التكملة**،ج٤ص٢٤٥؛ ابن عبدالملك، **الذيل والتكملة**، س٨ج٢ص٤٨٥.

(٤) ابن الأبار، **التكملة**،ج٤ص٢٤٦؛ ابن عبدالملك، **الذيل والتكملة**، س٨ج٢ص٤٨٥؛ إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي**، عمان، دار الشروق ١٩٩٧م، ص٤٤.

(٥) ابن الأبار، **التكملة**،ج٤ص٢٤٧، ٢٤٩؛ ابن عبدالملك، **الذيل والتكملة**، س٨ج٢ص٤٩٣،٤٩١.

ووصف أحد المستعربين اقبال النساء الأندلسيات واهتمامهن بالنسخ وكتابة القرآن الكريم وغيره من الكتب الدينية بقوله: "كان هناك مئات منهن يعملن في نسخ القرآن الكريم، وكتب الصلوات والأدعية، وكانت أكثر شيوعاً لبيعها للوراقين، وهؤلاء يقبلون عليها أكثر لأنهم مع كتابة المَرْأَة يحصلون على نسخ أوضح نظافة وأشد اعتناء وأبلغ مهارة وأحسن خـــــطاً وأرخص ثمناً لقلة أجورهن عن النُساخ الرجال ".[1]

وهكذا تنافسن النساء في نسخ القرآن الكريم وغيره من الكتب الدينية والعلمية بخط أيديهن البديع، وكانت هذه الوسيلة الوحيدة في ذلك الوقت لحفظه والحصول على نسخ منه وحفظ الكتب الأخرى وتداولها، وبالطبع فقد كان هذا العمل الخيري يأخذ منهن الجهد الوقت الكثير، إلا أنهن تفانين في ذلك خدمة لكتاب الله وتيسيراً لوصوله بأيدي الناس.

(١)خوليان ريبيرا، **التربية الإسلامية فى الأَنْدَلُس**، ترجمة الطـــاهر مكـــي، القـــاهرة، دار المعارف، ١٩٩٤ م، ص ٢٠٥.

المبحث الرابع: دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في نشر التعليم ورواية الحديث وبعض العلوم.

امتد دور المَرْأَة الخيري في الأَنْدَلُس إلى نشر العلم فقد كان لبعضهن أثر واضح في نشر ما تعلمنه. فقد أورد المقري وغيره عددًا كبيرًا من النِّساء اللواتى تفرغن للعلم والتعليم، ونسخ المخطوطات(١).

وتظهر مكانة المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة فيما نالته من ثقافة وعلم في كافة المجالات خاصة دراستها لأمهات الكتب الإسلامية مثل موطأ مالك وصحيح البخاري حتى وصلت كثيرات منهن إلى مرتبة المعلمات الكبيرات(٢).

ومن خلال دراسة سير العديد من النساء العالمات يتضح أن الأقربين للمَرْأَة – رجالا ونساء –كانوا هم أول من يستفيد من علمها، ثم هي لا تبخل بعلمها على طلبة العلم الآخرين، فتمارس التعليم بمختلف الوسائل التي لا تتعارض والتزامها بأوامر دينها، فتدرّس خلف الستر وتجيز لمن أخذ عنها.

---

(١)نَفْح الطِّيب، ج٤، ص ٢٩١.

(2)Ribera y Tarrago: **Disertaciones y Opusculos**. Tomo I.Madrid 1928.p347.

فهذه أم شريح المقرئ من أهل إشبيلية ذكرها ابن الأبار بقوله: " تقرئ الْقُرْآن لمن خلف عَلَيْهَا خلف ستر بِحرف نَافِع أخذت عَن زَوجهَا أبي عبد الله بن شُرَيْح وَكَانَ أَبُو بكر عِيَاض بن بَقِي مِمَّن قَرَأَ عَلَيْهَا فِي صغره وَكَانَ يفخر بذلك ويذاكر بِهِ ابْنهَا شريحا وَيَقُول قَرَأت على أَبِيك وأمك فلي مزية على أَصْحَابك وماتة لَا يمت بِمِثْلِهَا أحد إِلَيْك فَيقر لَهُ الشَّيْخ ويصدقه. "[١]

وكان العلماء يدخلون على فاطمة بنت يحيى المغامي (ت ٥٣١٩) للدراسة حيث ذكر لنا ذلك ابن بشكوال بقوله: " وحكى عنها شيخ كان يدخل إليها، قال: أتيتها، فقالت لي: أبا عبدالسلام، أين بات القمر البارحة ؟ قلت: والله ما أدري، فقالت: لو لم أدر أين بات القمر ما ظننت أني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. "[٢]

و قد تكرر ذكر النساء العالمات عند العلماء الأعلام اللذين تلقوا على أيديهن العلم، أو درسوا من كتبهن. ومن هؤلاء: أمة الرحمن بنت أحمد العبسي الزاهدة (ت ٥٤٤٠) ذكرها أبو محمد بن خزرج (ت٥٤٧٨) [٣] وقال أنه سمع عليها مع ابن أخيها كل

---

(١)**التَّكملة**، ج٤ ص ٢٥٤.

(٢) **الصِّلَة**، ج٢، ص ٦٩١.

(٣) الحافظ ، المجود ، المؤرخ أبو محمد ، عبد الله بن إسماعيل بن محمد بن خزرج اللخمي الإشبيلي، صاحب التاريخ ولد سنة ٥٤٠٧. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن

ماروته عن أبيها وكـــانت من أهل الخير توفيت بكراً لم تتـــزوج قط. [١] كما أن ابن خزرج هذا روى أيضاً عن راضية مولاة الخليفة عبدالرحمن الناصر ودرس من بعض كتبها التي حصل عليها. [٢] ومن ذلك أيضاً أن إشراق السويداء العروضية مولاة أبي المطـــرف عبدالرحمن بن غلبون، قد درست على يد مولاها اللغة العربية وآدابها وفاقته كثيراً بعد ذلك فيما أخذتـــــه من علمه، مما جعل بعض العلماء الأفاضل يأخذون منها بعض علوم اللغة العربية وعلـــــــــــم العروض. [٣]

وكان للنساء في الأندلس أيضا مشاركة فعالة في العمل الخيري عن طريق الإسهام بنشر العلم والجلوس له، فهذه الفقيه فاطمة بنت يحيى المغامي (ت٥٣١٩) من المعلمات العالمات كانت تجلس لتدريس النساء وتذاكرهن في أمور دينهن، وكان لها أقبال كبير مـــن الناس، حتى أنها عندما توفيت ازدحم الناس على جنازتها. [٤]

عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسوسي،بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٩٨م،ج١٨ص٤٨٩.

(١)ابن بشكوال، **الصلة**،ج٢ ص ٦٩٤.

(٢) ابن بشكوال، **الصلة**،ج٢ ص ٦٩٤.

(٣) ابن الأبار، **التكملة**،ج٤ ص٢٥٠؛ابن عبدالملك، **الذيل والتكملة**، س٨ج٢ص٤٨٠.

(٤) ابن بشكوال، **الصلة**،ج٢ ص ٦٩٣؛ الضبى، **بغية الملتمس** ، ج٢ ص٧٣٣.

وكذلك مريم بنت أبي يعقوب الفيصولي الشلبي التي اشتهرت بالإخلاص والعمل، كانت تعلم النساء الأدب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا، سكنت إشبيلية وشهرت بها بعد الأربعمائة. (١)

ومن النساء اللاتي علّمن بعض العلوم الأخرى المختلفة: لبنى كاتبة الخليفة الحكم بن عبدالرحمن (ت٣٧٦ه)، فقد كانت ذكية حاذقة شاركت في بعض العلوم مثل الحساب والنحو وعلم العروض والشعر. (٢)

وكذلك كانت جارية الحكم المستنصر بالله المجهولة الاسم التي تعلمت علم الفلك والإسطرلاب وحركات الكواكب في ثلاثة أعوام، ثم جلست في داره تعلم وتدرس الناس ما تعلمته. (٣).

واشترى بعض الأمراء جارية أبي عبد الله المتطبب ابن الكتاني، بعد أن أحجمت الملوك عنها لغلاء ثمنها، فأعطاه فيها ثلاثة آلاف دينار فملكها، وكانت واحدة القيان في وقتها، لا نظير لها في معناها، ولا أجود كتابة، ولا أملح خطاً، ولا أبرع أدبا، ولا أحضر شاهدا على سائر ما تحسنه وتدعيه، مع السلامة من اللحن فيما

---

(١) الحميدي، **جذوة المقتبس** ، ج٢ص ٦٥٠ ؛ابن بشكوال، **الصلة**،ج٢ ص ٦٩٥.

(٢) ابن بشكوال، **الصلة**،ج٢ ص ٦٩١؛ابن الأبار، **التكملة**،ج٤ ص٢٤٧.

(٣) ابن الأبار، **التكملة**،ج٤ ص٢٤٧.

تكتبه وتغنيه، إلى الشروع في علم صالح من الطب ينبسط بها القول في المدخل إلى علم الطبيعة وهيئة تشريح الأعضاء الباطنة وغير ذلك مما يقصر عنه كثير من منحلي الصناعة، وكانت تعلم ما تعلمته من العلم لغيرها. [١]

ومنهن من فتحت بيوتها لتعليم الأطفال وتأديبهم مثل ما قامت به ابنة المعلم حزم التي كانت تجمعها ووالدها دار واحدة هو يعلم العامة وهي تؤدب الصغار. [٢]

وامتداداً للأعمال الخيرية أيضاً للمرأة الأندلسية أن منهن من فتحت مكتباتها الخاصة لطلبة العلم لإفادتهم ومساندتهم، فهذه عائشة القرطبية (ت٥٤٠٠) كانت من المهتمات بالعلم ونشره وتعليمه وكانت لها مكتبة علمية كبيرة حسنة، ويبدو أن هذه المكتبة تعينها على بث العلم لاسيما أنها كانت من الميسورات مادياً وموصوفة بالمروءة والمحاسن الكثيرة للناس، حتى أنها عزفت عن الزواج في سبيل ما كانت تقوم به من أعمال خيرية للناس. [٣] ولم تكن هي الوحيدة التي تعزف عن الزواج، فهذه أمة الرحمن بنت

---

(١) ابن بسام ،أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب د، ت، ج٥ ص١١٢؛ إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي**، ص٤٣.

(٢) ابن الأبار، **التكملة**،ج١ ص٢٨٧.

(٣) ابن بشكوال، **الصلة**،ج٢ ص ٦٩٢.

أحمد العبسي الزاهدة قد وهبت نفسها للتعليم والرواية توفيت بكراً. [١] وكذلك فاطمة بنت زكريا بن عبدالله الكاتبة التي أفنت عمرها في العمل الخيري وكتابة الكتب العلمية ونشرها إلى أن ماتت بكراً ولم تتزوج. [٢]

وهكذا يبدو أنه بسبب انشغال بعض هؤلاء النسوة العالمات في البحث والدراسة وطلب العلم والعمل الخيري وبثه بين الناس، من الأسباب التي أدت لعزوفهن عن الزواج.

وهناك من النساء الأندلسيات ممن دفعها حب الخير إلى نشر ما تعلمته من علم الحديث وروايته للناس مثل: خديجة بنت جعفر التميمي (ت بعد٣٩٤هـ) كانت امرأة فاضلة مهتمة بالعمل الخيري في رواية الأحاديث فقد حدثت عن زوجها بموطأ القعنبي. [٣] ومنهن أيضاً عابدة المدينة جارية دَحُّون بن الوليد بن حبيب المرواني، وكانت جارية سوداء أهديت إليه عندما حج، وقد اشتهرت برواية الحديث عن الإمام مالك بن أنس وغيره حتى قيل أنها تسند أحاديث كثيرة، أي تحفظها بسندها. وقد أعجب بها الوليد، وقدم بها إلى

---

(١) ابن بشكوال، **الصلة**،ج٢ ص ٦٩٤.

(٢) ابن بشكوال، **الصلة**،ج٢ ص ٦٩٤.

(٣) ابن بشكوال، **الصلة**،ج٢ ص ٦٩٣.

الأَنْدَلُس، فتزوجها وأنجب منها ابنه بشراً[١]. كما أن عبدة ابنة بشر بن حبيب هذا قد روت عن أبيها ما تعلمته منه. [٢] ومن المحدثات أيضاً غالبة بنت محمد التي يطلق عليها المعلمة تروي عن العلماء الزهاد. [٣] وكذلك أم الحسن بنت أبي لواء سيمان كانت امرأة صالحة زاهدة فاضلة، ذهبت إلى الحج، وسمعت الحديث والفقه في مكة والمدينة، ثم رجعت إلى الأَنْدَلُس لتعلم النساء ما تعلمته، وكان من أبرز شيوخها الفقيه الأَنْدَلُسي بقى بن مخلد. [٤]

وهكذا يتضح لنا من خلال العرض السابق مدى ما قدمته المرأة الأندلسية من دور هام في نشر العلم بكافة أنواعه والجلوس له وفتح بيوتهن ومكتباتهن وبذل قصارى جهدهن وحياتهن لخدمة العمل الخيري حتى تعدى ذلك الأمر إلى عزوف بعضهن عن الزواج تضحية منهن لخدمة مجتمعهن ودينهن.

---

(١)ابن الأَبَّار، **التَّكملة** ج٤ ص ٢٤٠.

(٢) ابن الأَبَّار، **التَّكملة** ج٤ ص ٢٤٣؛ المقري، **نفح الطيب**، ج٣ص١٣٩.

(٣) ابن بشكوال، **الصلة**،ج٢ ص ٦٩١؛ الضبى، **بغية الملتمس** ، ج٢ ص٧٣٢.

(٤) ابن الأَبَّار، **التَّكملة** ج٤ ص ٢٤٤؛ابن عبدالملك، **الذيل والتكملة**، س٨ج٢ص٤٨١.

المبحث الخامس: الاهتمام بالمرضى ومساعدة الفقراء والأيتام وعتق الرقبة وبناء مقابر.

ساهمت المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة بنصيب وافر في الاهتمام بالمرضى ومساعدة الفقراء والأيتام فنجد السيدة عَجَب ذات السلطانٍ الواسع أيام الحكم بن هشام الربضي (١٨٠-٢٠٦ هـ) تقوم ببناء منية أو مصحة عرفت بمنية عجب بعدوة النهر المحبسة وجعلتها للمرضى وكانت على قدر كبير من التعليم والتفقه في الدين[١].

كما أن الشفاء حظية الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (٢٠٦-٢٣٢هـ) الموصوفة بالعقل والجزالة وحسن التصرف والبراعة، من أكثر نساء الأمير عبدالرحمن أوقافاً على المساجد والمرضى والضعفاء وخدمتهم، وأوقافها في سبيل البر كثيرة. [٢] ومن مواقف الشفاء أيضاً الخيرية رعايتها لابن زوجها اليتيم محمد حيث توفيت والدته وهو صغير السن، فكانت مربية فاضلة محبة للخير والعمل الخيري، فتكفلت هي برعايته وكانت تحرص على الترفيع به والتقديم له على ابنها المطرف، والانتصاف له دائماً على ابنها.[٣]

---

(١)ابن حيان، **السفر الثاني من كتاب المقتبس**، ص ١٨٨.

(٢) ابن حيان، **السفر الثاني من كتاب المقتبس**، ص ٣٠٤.

(٣)ابن حيان، **السفر الثاني من كتاب المقتبس**، ص ٣٠٤ و ٣٠٥.

ومن مواقف المرأة الأندلسية الخيرية أيضاً، مساعدة الأيتام والفقراء، فكانت بعض النساء الصالحات يسعين في تزويجهن ويتوسطن في خطبتهن، حتى كانت من أحب وأفضل الأعمال اللاتي يتقربن بها إلى مرضاة الله تعالى، وكن يساهمن في إعارة ملابسهن وحليهن لكل عروس فقيرة. (١)

كما قامت بعض النساء بالتوسط والشفاعة للفقراء المحتاجين، فنجد عائشة بنت أحمد القرطبية، (ت ٥٤٠٠) قد ألقت بجاهها ومكانتها وعلمها في خدمة مجتمعها، حيث أنها كانت تتوسط لأصحاب الحاجات ولا ترد شفاعتها.(٢)

وهكذا نرى أن المرأة الأندلسية عملت من منطلق مد يد العون للمسلمين المحتاجين وقضاء حوائجهم التي لا يمكنهم أن يتحصلوا عليها إلا بمساعدة الآخرين.

وقد ساهم بعضهن على عتق الرقبة، كما فعلت مزاحمة بنت مزاحم بن محمد الثقفي الجزيري عندما اعتقت نَاصح الثَّقَفِيّ الجزيري الذي كان عبدا لها فاعتقته وزوجته وحبست عليه ضيعتها بقرية (لنقيلة) في الجزيرة الخضراء(٣).

---

(١)ابن حزم، **رسائل ابن حزم**، ج١ ص ١٦٥.

(٢) ابن بشكوال، **الصِّلَة**، ج٢ ص ٦٩٣.

(٣)ابن حيان، **السفر الثاني من كتاب المقتبس**، ص ٢٣٤.

ومن الأعمال الخيرية التي قامت بها بعض النساء، بناء المقابر لأموات المسلمين، فمنها ما قامت به متعة أم أبي عثمان سعيد بن الحكم، التي شيدت مقبرة لموتى المسلمين، ولها أحباس كثيرة في سبيل الخير والبر، وكانت من كرائم النساء.(١) ومنهن أيضاً: مؤمرة من حظايا الأمير عبد الرحمن بن الحكم اعتقها وتزوجها، وإليها تنسب المقبرة التي بطرف الربض الغربي من قرطبة.(٢).

كما أن هناك من النساء الخيرات التي تكفلت بتعطير أو رش الطيب على نعوش من مات من بني أمية، فهذا ابن حيان يصف لنا ما كانت تقوم به فينان حظية الأمير محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨-٢٧٣ه) بعد وفاة ابنها أبو القاسم أصبغ بن محمد بقوله:" ولما اتخذ له النعش...أدخل إلى والدته فينان.. في حجاب الأمير محمد في داخل القصر، فضمخته بالغالية على الرسم وأخرجته... وكانت عقيلة من نسائهم موصوفة بالسرو والجلالة والصلاح والعفة... وهي التي أحدثت تضميخ نعوش من مات من خلفائهم بالغالية. "(٣)

(١)ابن حيان، **السفر الثاني من كتاب المقتبس**، ص ١٨٨.

(٢)ابن حيان، **السفر الثاني من كتاب المقتبس**، ص ٣٠٤.

(٣) ابن حيان، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تحقيق محمود مكي، بيروت، دار الكتاب العربي،١٩٧٣م، ص٢١٤.

وهكذا تبين لنا من خلال هذا العرض كيف أن هؤلاء النساء كن يتسارعن بالاجتهاد في بذل كل ما يسطعن عمله في سبيل الخير ومد يد العون والمساعدة للمحتاجين والفقراء وغيرهم، طلباً للأجر والمثوبة من الله سبحانه وتعالى.

المبحث السادس: دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في بناء الأسرة والمجتمع.

يعد الدور الذي تمارسه المَرأة في أسرتها من أعظم الأدوار الخيرية التي يمكن أن تنسب إليها، وقد كانت المَرأة الأندلسية حريصة على غرس روح العلم والخير والصلاح في نفوس أبنائها.

وللأسف لم تسعفنا المادة العلمية إلا بالقليل النزر عن تفاصيل ورعاية المرأة الأندلسية لأسرتها مما يدخل في مجال العمل الخيري. إلا أنها كانت دائماً حاضرة بعملها الخيري في بناء مجتمعها، فما بالك في محيطها الصغير أسرتها وأبنائها. فقد كانت النساء الأندلسيات حريصات على تعليم أبنائهن منذ نعومة أظافرهم. فبعد تغذية الطفل تغذية روحية خلقية، تتوجه الأسرة إلى تلقينه وتأديبه فتجتهد في ذلك باستعمال كل الطرق والأساليب للنجاح في تحصيله للعلوم وتسعى إلى دفعه فرداً فاعلاً ليتحمل مسؤوليات مجتمعه، فتلقنه الأم في بداية حياته العلوم الأساسية كحفظ بعض آيات القرآن الكريم، أو القراءة والكتابة، ثم يتدرج بالطبع في بقية العلوم

الأخرى بمساندة الوالدين.[١] حتى ينتقل بعد ذلك إلى مجالس المعلمين والمؤدبين في المساجد أو غيرها من دور العلم.[٢]

وكثيراً ما نجد في تراجم العلماء أنهم نشأوا في بيئة علم ودين. [٣] أو من بيت علم ونباهة وأدب وخير و صلاح. [٤]

فهذا الاعتناء الشديد من قبل الوالدين والذي على الأرجح أن للمرأة دوراً هاماً فيه لاسيما في مرحلة الطفولة – وبالرغم من أن تعليم الأبناء يعد واجباً على الوالدين – إلا أن هذه العناية الشديدة التي تصل إلى حد نبوغ الأبناء وأن تتحول بيئتهم ومنازلهم إلى بيوت علم ونباهة وخير، ويشيد بها العلماء. فهذا بحد ذاته يعد عمل خيري دفع بالمرأة الأندلسية إلى احتساب الأجر فيه برعاية أبنائها ودعمهم ومساندة أسرتها.

فهذه العالمة الفاضلة خديجة بنت جعفر التميمي، (ت بعد ٣٩٤هـ) زوجة الفقيه عبدالله بن أسد، التي تروي الأحاديث عن زوجها بموطأ القعنبي. قد حبست وأوقفت كثير من الكتب على

---

(١) محمد عبدالحميد عيسى، **تاريخ التعليم في الأندلس**، القاهرة، دار الفكري العربي، ١٩٩٨م، ص ٢١٦.

(٢) محمد عبدالحميد عيسى، **تاريخ التعليم في الأندلس**، ص ٢١٥.

(٣) ابن بشكوال، **الصلة**، ج١ص ٧٨، ج٣ص٣٩١.

(٤) ابن بشكوال، **الصلة**، ج١ص ١٦، ج١ص٣٤٣؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج١ص٤٠.

ابنتها. [١] فهي لم تكتف بتعليم هذه الابنة بل وأوقفت كتبها عليها في سبيل الخير ودفعها للعلم.

وهذا أيضاً العالم الفقيه محمد بن الحزم يصف لنا كيف تلقى التعليم وهو صغير السن على يد النساء بكل رعاية و اهتمام ،حتى وإن لم يكونوا هؤلاء الصغار من أبنائهن بقوله: " ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن مالا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وحين تبقل وجهي، وهن علمنني القرآن وروينني كثيراً من الأشعار ودربنني في الخط. "[٢]

كما التزمت المَرْأَة في الأَنْدَلُس بمبادئ الإسلام وبثت روح الود والحب ومعاونة الزوج والوقوف بجواره في الشدائد. [٣]

ولهذا يؤكد المؤرخ والباحث الفرنسي بيير جيشار قائلاً "إن المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة –خاصة الحرة– كانت قادرة على غرس روح الشرف والنبل في ابنائها، كما زرعت فيهم الانتماء التام للأسرة أو الطبقة التي تنتمي اليها. [٤]

---

(١) ابن بشكوال، **الصِّلَة**، ج٢ ص ٦٩٣.

(٢)ابن حزم، **رسائل ابن حزم**، ج١ ص١٦٦.

(٣)ابن حيان، **المقتبس**،بيروت، دار الكتاب العربي، ص٣١٧.

(5)Guichard,Pierre**: Structures Sociales "orientales" et « occidentales »** dans l'Espagne musulmane,Paris,1977 , pp. 79-166.

ولهذا فقد احتلت المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة مكاناً مرموقا في المجتمع، مؤدية دورها الهام في مختلف ميادين الحياة الأَنْدَلُسية، شغلته أماً حانية موجهة وزوجة وفية، وشاركت بكل قوة واقتدار في العمل الخيري، وأضفت على الحياة الاجتماعية الأَنْدَلُسيّة قدراً كبيراً من البر والتقوى.

الخاتمة و استخلاص النتائج و التوصيات:

نتبين من هذه الدراسة أن المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة ساهمت بنصيب وافر في العمل الخيري في الأَنْدَلُس بكافة أشكاله وأنواعه من نشاط دعوي لخدمة الدين الإسلامي إلى بناء المساجد ونشر التعليم، ونسخ المصاحف الشريفة وغيرها من الكتب الدينية والعلمية، والاهتمام بالمرضى ومساعدة الفقراء والأيتام، كما وجهن نشاطهن الخيري داخل مجتمعهن الكبير بالأَنْدَلُس، وكذلك داخل أسرهن وتوجيه أولادهن وبناتهن إلى العمل الخيري ابتداءً من السن الباكرة للأولاد والبنات حتى سن الشباب والكهولة.

وقد خرجت الدراسة بعدد من الاستنتاجات منها:

- ساهمت المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة جارية أو حرَّة، في هذا النَّشاط الخيري في مختلف عُصور الحكم الإسلامي للأندلس.

- برزت شخصية المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة فى مجال العمل الخيري متعدد الجوانب وارتبط ذكر عدد لا بأس به من النساء الأَنْدَلُسيات بالعمل الخيري وتحدثت المصادر عن جوانب مختلفة من ذلك العمل الخيري مثل نشر الدعوة الإسلامية وبناء المساجد

ونشر التعليم، ومساعدة الفقراء والأيتام. وقد شمل ذلك العمل الخيري نساء الخلفاء والجواري و العالمات.

- ارتبط ذكر عدد لا بأس به من النساء الأَنْدَلُسيات بالصلاح والزهد والأعمال الخيرية.
- ساهمت المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في بناء بعض المساجد لإيمانها بالدور الديني والعلمي والتعليمي والخيري للمسجد.
- تنوعت الأعمال الخيرية للنساء في الأَنْدَلُس، ومنها التقرب إلى الله بالمشاركة في نسخ المصحف الشريف ونافسن الكثير من الرجال من مشاهير الخطاطين ونساخ القرآن الكريم.
- ساهمت المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة بنصيب وافر في الاهتمام بالمرضى ومساعدة الفقراء والأيتام.
- قيام الأَنْدَلُسيات بدور بارز بالنسبة لتعليم أولادهن والاهتمام والرعاية الشديدة بتعليمهم، مما نتج عن ذلك علماء بارزين كان لهم دور حضاري كبير ومشهود في بلادهم الأندلس.

ولقد أوصت الدراسة بعدة توصيات من أهمها:

١ – ضرورة قيام دراسات وأبحاث تفصيلية عن دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في كافة المجالات العلمية والاجتماعية والاقتصادية..

٢–وضع ترجمات للمَرْأَة الأَنْدَلُسيّة ونشرها في المؤسسات الأكاديمية المهتمة بالمَرْأَة ودورها في المجتمع عبر التاريخ وذلك ليتسنى للأجيال القادمة الاطلاع على دور المَرْأَة الحيوي في الإسلام.

٣ – تربية الأبناء والجيل الجديد على قيم وثقافة وتراث أجدادنا المهتمين بالعمل الخيري وإيجاد جيل واعي ومدرك لقيمة هذا المخزون الحضاري والثقافي العظيم.

٤–تخصيص أحد المؤتمرات القادمة لموضوع دور المَرْأَة في العمل الخيري سواء في المشرق أو المغرب على حد سواء.

ثبت المصادر و المراجع

أولاً المصادر:

- ابن الأَبَّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨ هـ)
- التَّكملة لكتاب الصِّلَة، تحقيق عبدالسلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، د ت.
- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، د، ت.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ)
- كتاب الصِّلَة، تحقيق السيد عزت العطار، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأَنْدَلُسي (ت ٤٥٦ هـ)

- رسائل بن حزم (طوق الحمامة في الألفة والألاف)، تحقيق إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧م.
- جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م.
- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨ه)
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩ هـ)
- السفر الثاني من كتاب المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٣م.
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م.

- المقتبس الجزء الخامس، نشره ب شالميتا، حققه ف كورينطي، م صبح، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة، ١٩٨٩م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨ه)
- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط و محمد العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م.
- الزبير، جعفر أحمد بن إبراهيم (ت ٧٠٨ هـ)
- صلة الصِّلَة، تحقيق عبد السلام الهراس، بيروت، دار الفكر للطباعة، ١٩٥٥م.
- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (ت ٥٩٩هـ)
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م.
- ابن عبدالملك، أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ)

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول و الصلة السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٨٤م.
- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (كان حيًّا سنة ٧١٢ هـ)
- البَيَان المُغْرِب في أخبار الأَنْدَلُس و المغرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٠م.
- ابن الفرضي، أبي الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣ هـ)
- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار، القاهرة، مكتبة الخانجي،١٩٨٨م.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧ هـ)
- المُعْجِب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٩٤٩ م.
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ)
- نَفْح الطِّيب من غصن الأَنْدَلُس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار صادر ١٩٩٧م.

- ثانيًا المراجع:

- البشري، سعد بن عبد الله
- الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأَنْدَلُس، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٧م.
- بيرس، هنري
- الشعر الأَنْدَلُسي في عصر الطوائف، ترجمة الطاهر مكي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٠م.
  - ريبيرا، خوليان
- التربية الإسلامية فى الأَنْدَلُس، ترجمة الطاهر مكي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٤م.
  - ليفي، بروفنسال
- الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر مكي، القاهرة، دار المعارف،١٩٩٤م.
  - عباس، إحسان
- تاريخ الأدب الأندلسي، عمان، دار الشروق ١٩٩٧م.
  - عناني، محمد زكريا
- تاريخ الأدب الأندلسي، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٩م.

○ عنان، محمد عبدالله

- دولة الإسلام فى الأندلس، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م.

○ عيسى، محمد عبدالحميد

- تاريخ التعليم في الأندلس، القاهرة، دار الفكري العربي، ١٩٩٨م.

ثالثاً المراجع الأجنبية:

- **Schack, f .**
  26 _ Poesia y Arte de Los Arabes en Espana Y Sicilia. Traduccion de Juan Valera Mexicco, 1944) .
- **Nykl. B.**
  27_ Hispano Arabic Poetry. Baltimore. 1946.
- **Tarrago, T .**
  28_ Disertaciones y Opusculos. Tomo I.Madrid 1928.
- **Guichard, P .**
  29_ Structures Sociales “orientales” et « occidentales» dans l'Espagne musulmane,Paris,1977.